

في الحب أيضا للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

كتبت إلى سيدة أعرفها فاضلة لبيبة تسألني عن الحب كيف أقول فيه ما قلت؟ وعن المرأة كيف أبسط لساني فيها كل هذا البسط؟ وعن الحب الأفلاطوني ماذا ترى رأيي فيه؟ وختمت كتابها بأنهم الرجال بقلة الوفاء، وبالقدر وكثرة التقلب وقد استخلصت من كتابها أن مقالتي الذي تفضلت بنشره «الرسالة» لم يصادف منها ارتياحاً ولم يبق قبولاً. ولست أستغرب هذا، أو أنكر عليها امتعاضها، فاني أعرف أن كل رأي فيه من الهوى أثر؛ والمرء يميل بمزاجه إلى ما هو أحب إليه من الآراء وأكثر موافقة أو مجازاة لهذا المزاج؛ وما يزال الانسان يوحى إلى نفسه حتى يصير الأمر عنده عقيدة راسخة لا تتزعزع ولا يسهل زحزحته عنها؛ ولو أن انساناً استطاع أن يتبين مبلغ أثر الايماء الذاتي في آرائه لهاله ذلك، ولذهب إيمانه بالعقل وقدرته على النظر المجرد، ولأيقن أنه ما من رأي إلا وهو وليد عاطفة، فولد عاطفة؛ والانسان يعيش بالطبع أكثر مما يعيش بالعقل. وأحسبني لا أخطئ جداً حين أقول إن عقل كل فرد يُصب في قالب من طباعه، فليست هذه التي تفكر بها «عقولا»، وإنما هي طباع وأمزجة اتخذت صوراً مزورة؛ وأسل الخطأ أنا حينها «عقولا» فصار لها في وهننا، على الأيام، استقلال لا وجود له

وليس الذي نشرته لي «الرسالة» رأياً في الحب، وإنما هو بيان لحالات يجر إليها، ومواقف يستدعيها، ولا أرى في سببها عليها؛ أما الحب فليس لغزاً، وما على من يريد فهمه على الوجه الصحيح إلا أن يتضو عنه كل ما خلق عليه الشعراء ولفوه فيه، حتى أخفوه وحجبوه؛ وليس هذا كل ما جنى الشعر، وما هو إلا بعض ما مسخ من حقائق الحياة. والشعراء كالكمهان الأقدمين — دأبهم التهويل على الناس وإيهامهم أنهم وحدهم دون خلق الله أهل العلم والاحاطة والبصر والاتصال بالحقائق العليا والأسرار المحجوبة — لا، بل الشعر ضرب من السكمان،

ومظهر من مظاهرها — أي نوع من الدجل. ولا نكران أن الشاعر والكاهن يبدآن مخلصين صادق السريرة — وكذلك كل غرير قبل أن يجرب — ولكن الأمر يتحول شيئاً فشيئاً إلى صناعة، فلا تصدق من يقول لك إن الشاعر يظل عمره — إلى آخره — طفلاً كبيراً، فان هذا ليس إلا بعض دجل الشعراء — أو هو بعض ما يوحون إلى نفوسهم ويلجئون به عليها ليكونوا أقدر على الدجل، والدجال يحتاج إلى اكتساب «مظهر» الاخلاص ليستطيع إقناع الناس. وقد رأيت في زماني دجالين كثيرين كان أبرز صفاتهم قدرتهم على مغالطة أنفسهم بالايحاء اليها؛ والشعراء أبرعهم جميعاً لأنهم ألح على نفوسهم، وأكثر استلهاماً منها، وسبباً للتأثير فيها، ودؤوباً على مناجاتها

أعود إلى هذا الحب فأقول إنه ليس فيه سر، فهو ضرب من الجوع، أو هو إذا شئت نوع من التنبيه تاجأ إليه الطبيعة لتفريتنا بما يكفل المحافظة على النوع كما تنبهنا بالجوع، فتبني ما نحافظ به على ذواتنا. وعلى ذكر الجوع أقول لي أذكر أنني أيام كنت أقول الشعر نظمت قصيدة نشرت في الجزء الاول من ديواني وفيها أن الحب أصاب مني «شبع» فاستبشها صديق لي أكبر رأيه وذوقه، وأنكر عليّ أن أذكر «الشبع» في معرض كلام على الحب، فوافقته على رأيه، ولكنني تركت البيت على حاله، عجزاً عن تنقيحه، أو إهمالاً؛ ولولا أنني أرفض شمري كله لقلت لي الآن أراني أحسنت

فالحب — كالجوع — اشتها، أي إيدان بأن الجسم يطلب أن تسد له حاجة، وليس الطعام هو الغاية من الأكل، بل ما يفيد من الصحة والقوة واستمرار الحياة؛ كذلك ليست المرأة هي الغاية من الحب، بل ما تعين عليه من بقاء النوع بالانتاج؛ وكما أن المرء يفلط فيأكل ما لا خير فيه ولا صحة تستفاد منه ولا قوة، بل ما لعله يضر ويورث المرض، كذلك يفلط الانسان فيحب ما لا يحقق الغاية التي ترمى اليها الطبيعة. والمرء يكون مترفاً في حبه كما يكون مترفاً في طعامه وملبسه وما إلى ذلك؛ ومن الناس من يأكل طعامه جرفاً، والبطان الذي لا ينتهي منه، والمخلط من صنوفه والمستقصى لها، والقرون الذي يأكل

أصف واقفاً ، وأقر حقاً لا يكابر فيه إلا مناقق يريد أن ينتح
فضلاً على حسابي وحساب الحقيقة . والذي يجعل الوفاء مستحباً
في الواقع أن الحياة قائمة على التحول لا على الثبات ، والمرء يتن
حتى ليتمكن أن يقال إنه يخلق كل يوم خلقاً جديداً مولداً
الخلق السابق أو أنه يموت ويحيى غيره باسمه ؛ وكل يوم يح
هو يوم مانه ، وبمث بعه كرهة أخرى في صورة تخالف الأص
من بعض الوجوه . وقد شرحت هذا من قبل في مقالات شر
في « البلاغ » « والأهرام » ولا أذكر أين أبعيناً ، فلا أعيد
ما قلت

وليس هذا رأياً جديداً لي ، فقد نظمت فيه شعراً كثير
نشر بمضه ، ولن ينشر البعض الآخر ؛ وأذكر مما نش
هذه الأبيات :

أكلت عشت يوماً أحسنت أني مثته
(من قصيدة الملل من الحياة)

إني أراني قد حلت وانتسخت مع الصبي سورة من السو
وصرت غيري فليس يرفني - إذا رأني - صباي ذو الطر
ولو بدا لي لبت أنكره كأنني لم أكنه في عمرز
كأننا اثنتان ليس يجمعنا في العيش إلا تشبث الذك
مات الفتى المازني ثم أتي من مازن غيره على الأ
(من قصيدة كأس النسيان)

هذه كفي على خون المهود لا على الرمي - فهذا لا يكون
إنها دنيا كذاب وجحود ولصدق النفس أولى - لو يهور
هذه كفي على وشك اللال كل نار سوف يعلوها رما
أولو أستطيع تصديق الخيال أو يكون الجهل شيئاً يستقا

باعقيدى طامن الله حشاك لن تراني شاكياً وهي حبالك
أين من طينتنا - أين - الفكاك؟ أنت انسان على فرط جمالك
(من قصيدة معاهدة هرامية)

وحسبي هذا القدر ، وعسى أن يكون كافياً في جواب السؤال
إبراهيم عبد القادر المازني

لعمتين لعمتين ، والذي يكره معدته على الزيادة بعد الشبع ، والذي
يسرع في الأكل كراهة لطول الجلوس له ، والذي يضع يده على
ما أمامه لئلا يتناولها النسر ، والذي يجيل اللقم ولا يمضغها ،
والذي يلوك ، والذي يأكل نصف اللقمة ويرد نصفها ، والزهد
القليل الأكل ، والمريض ، والضعيف الاشتها ، والمتعجب .
وكذلك أرى الناس يكفون في حبههم ، بل الانسان الواحد يكون
سرة هكذا ، وسرة هكذا ؛ والتوايل وما إليها لازمة للحب
أحياناً لئلا يفسد الطعام ؛ واللحم هو هو كيفما طبخته ، ولكنه
نارة يكون أشهى مشوياً ، ونارة أخرى يكون ألد وهو مسلوقة ،
أو مقعدة أو مشرح أو معلق في السفود ، أو مخلوط بالرز أو البيض
أو الخضرا أو غير ذلك ؛ وقل مثل ذلك في غير اللحم من الآكال
فما أردنا إلا التمثيل ؛ وكذلك المرأة ، فمن كانت يمتها أن يبق
حب الرجل لها أطول زمن ممكن ، فلتكن على كل لون وعلى كل
صورة تشتهي

ولا احتاج بعد هذا أن أقول : إني لا أومن لا بالحب
الأفلاطوني ولا بالوفاء ، ولست أعني أني أستهنهما أو أعيبهما ،
فليس الأمر أمر استهجان أو عيب ، وإنما أعني أنهما لا يوجدان
مع الصحة والسلامة ؛ وإذا كان من الممكن أن يشبع الجائع
بالنظر إلى الطعام في أطباقه على السفرة ، وأن يحيا البرء بأن
يأكل بعينه أو خياله ، فانه يكون من الممكن أيضاً إرضاء عاطفة
الحب عند الرجل السليم المعاني بالنظر إلى المرأة والاستماع إلى
حديثها والتمتع بابتسامتها ورشاقة وقفها أو حسن جلستها . والذي
يقنع من المرأة بذلك يكون أحوج إلى الطبيب المداوى منه
إلى المرأة .

أما الوفاء فأكرم به وأنتم ا ولكن أين في دنيانا من يصبر
على طعام واحد وفي وسعه ألا يفعل ؟ وأقول « من يسه
ألا يفعل » وأنا أعني ما أقول ، فما يلتزم الوفاء إلا من يمجز
- بسبب ما - عن خلافه . وأسأل القاريء وأعفيه من
الجواب المعنى : أي رجل لم ينقض عهدا بالوفاء بالفعل أو بالنية
أو بالخطر أو بالخيال - على حسب الاحوال ؟ والمرأة كالرجل
وشأنها كشأنه . وكذاب من يقول - وكذابة من تدعى -
غير ذلك . ولست أدعو إلى شيء - وحاشا أن أقبل - ولكني